١٦٦١٠

مجلّه الفكر الاسلامي

تاريخ نشر رمضان ١٣٩٣

شماره العدد العاشر السنة الرابعة

شماره مسلسل

محلّ نشر لبنان

زبان عربي

نويسنده اسعد علي

تعداد صفحات ٢٠ - ٢٥

موضوع الصيام والصوم لمعرفة المؤمن الحق

سرفصلها

كيفيّت

ملاحظات

الصيام والصوم لمعرفة المؤمن الحق

للدكتور أسعد علي

— هل أنت صائم حقاً ..؟

— ما هذا السؤال المحرج يا صديقي ؟.. إنني صائم ..

لكن كلمة : « حقاً » تقف أمامي متحدية ومغرية كجبل شاهق، يصعب تسلقه .

وأنت ، رعاك الله ، تطاردني في الليل والنهار .. كلما رأيتني أرتاح ، أو أهم بالارتياح ، تقذف إلي سؤالاً يتفجر ويفجر ، فتحرق ستائري وحجبي ، وتوقظ سرائري وتعبي .. فكيف أسكت آلاف السرائر الصغيرة ، وقد هبت تبكي وتبكي .. وتصرخ جائعة ، ظامئة في ليالي البرد والقيظ ، وفي أيام البطالة والحرمان ..؟

إن طوفان الدموع والضجيج يكاد يجرفني ويغرقني :

هل أنا ، المسلم، صائم حقاً ..؟ كيف أعرف أنني صائم حقاً ..؟

قال صديقي : لماذا لا تعرض صيامك الخاص على مقياس الصيام العام ..؟

قلت : عرضته على المقياس العام ، وإنني أمسك عن الطعام والشراب ، وأتم الصيام إلى الليل .

قال صديقي : هذا مقياس العامة ، وليس المقياس العام ..

قلت : وما المقياس العام ..؟

قال : سل القرآن الكريم ..

وعدت إلى القرآن الكريم . فاكتشف مقياس الصيام العام ؟ لو تحدث القرآن يشرح الصيام الحق في ست سور من سوره ، هي :

١ — البقرة : (١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٩٦) ، ٢ — النساء : (٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤) ٣ — والمائدة : (١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤) ، ٤ — ومريم : (١٦ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٦٢) ٥ — والأحزاب : (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦) ٦ — والمجادلة : (١ — ٤) .

ذكر الصيام في إحدى عشرة آية من هذه السور . لكن هذه الآيات تتماسك مع غيرها ، وتثير أجواء سور أخرى ، مثل سورة الأنعام . (١٥٩) ، (سورة الحجرات (١٢) .

الملمح الأول لصورة الصيام الحق ، ، هو : الصيام الذاتي ، أي الصيام لذاته .

فالصيام لذاته مرتبط بالإيمان والزمان كتب على المؤمنين بنبوة محمد ﷺ كما كتب على المؤمنين من قبلهم بنبوات الانبياء السابقين . وكتابته على المؤمنين لخيرهم ومنفعتهم وتفصيل كيفيته ووقته ، وشروطه، واضح في أربع آيات من سورة البقرة :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون .. الخ (١٨٣— ١٨٧) .

والصيام لذاته لون بهي ، يتجانس مع تسعة ألوان أخرى تمثل هذا الملمح ، وهي :

الإسلام لله ورسوله ، والإيمان بهما ، ودوام الطاعة لأوامرهما ، والصدق في تنفيذ تعاليمها ، والصبر على ذلك ، والتواضع في تأديته ، والتصدق على المحتاجين بالعطاء الصدق من القول والمال والحب ، والعفة عما نهيا عنه ، والذكر الدائم ، مع الامتثال لما أمر به .

هذا حكم الله ورسوله على

المؤمنين والمؤمنات ، لا خيرة لهم من أمرهم ، فإن عصوا فقد ضلوا ضلالاً مبينا ، وإن أطاعوا فقد نالوا مغفرة وأجراً عظيما . ومؤيد ذلك من سورة الأحزاب (٣٥ ، ٣٦) .

أما الملمح الثاني لصورة الصيام الحق ، فهو : الصيام الغيري ، أي الصيام لغيره .

والصيام لغيره يرتبط بفكرة التعويض والتفكير ، وهما مظهران تشريعيان معروفان ، في : اليمين والظهار ، والحج ، والصوم نفسه ، والقتل ..

هذان الملمحان لصورة الصيام الحق ، يمثلان وجه الصيام القريب . أما وجهه البعيد الشامل ، فهو : الصوم . وفرق بين الصيام والصوم :

فالقرآن الكريم يعرض الصيام مرتبطاً بالطعام والشراب ، والإمساك عنها ... لكنه يعرض الصوم مرتبطاً بالكلام ، والامساك عنه ، مع إمكان تناول الطعام والشراب .

وأسمّي الصوم ، اصطلاحياً ، ملمحاً ثالثاً للصيام الحق .

فكيف يخرج ذلك ..؟

الملمح الثالث لصورة الصيام الحق ، هو : الصوم ، وقد ورد الملمح في سورة مريم واضحاً عندما وجه الخطاب اليها بقوله تعالى: « فكلي ، واشربي ، وقري عيناً . فإما ترين من البشر أحداً ، فقولي : إني نذرت للرحمن صوماً ، فلن أكلم اليوم إنسياً » (مريم ٢٦) .

فالآية تأمر مريم بتناول الطعام والشراب والاستمتاع بمباهج الكون .

ولكنها تأمرها بالصوم ، في الوقت نفسه ، وتفسر لها كيفيته ، فالصوم امتناع عن كلام الناس ..

والامتناع عن تكليم الناس نذر للرحمان . والنذر يعني ما يوجبه المرء على نفسه من صدقة وعبادة ..

والعبادة توجب على المؤمن المتعبد أول ما توجب : إطاعة الله ورسوله ، كما اتضح لنا من الملمح الأول لصورة

الصيام الحق ..

والله كتب على المؤمنين في كل الأزمان الصيام ، أياماً معدودات ، هي في شريعة النبي العربي ، محمد ﷺ .

« شهر رمضان ، الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان » (٢ : ١٨٥)

فهل يتوقف « الرمضانيون » مع بينات الهدى في القرآن ليعرفوا أي صوم يصومون ؟

في سورة الحجرات بيان للصائمين ، بطور ملمح الصوم عن التكلم مع الناس ، فيجعله صوماً عن التكلم على الناس ..

في السورة تحديد لصفات المؤمنين :

فالمؤمن متأدب مع الله ، ومع رسوله ، ومع الناس :

متأدب مع الله ورسوله ، فلا يقدم أحكاماً في حضرتهما ، أي لا يفتي لها ويعلمها . ولا يجتهد في معرض النص . بل يطيعها ، ويجتهد ليفهم حكمتها في النص .

والمتأدب بأدب الله ورسوله ، يتأدب مع خلق الله ، فيقتدي برسول الله ﷺ : يتبين ما يسمع ، وما يقرأ من أخبار وأقوال ، قبل أن يحكم أو يفعل فعلاً يصيب به قوماً مؤمنين .

المسلم الحق يعتبر المؤمنين إخوة ، فلا يُبيح لنفسه أن يقول لمن يُلقي اليه السلام : لست مؤمناً ، سورة النساء (٤ : ٩٤) كما قال تعالى في نص الآية .

وحكمة النص أن معلن إيمانه مسؤول عن صدقه أو كذبه . وليس على المؤمن أن يشق عن قلب غيره ، على حد التعبير ، لأن ذلك تعد على من اختص بمعرفة السرائر وتحصيل ما في الصدور ..

انطلاقاً من هذا المبدأ ، يكف المؤمن لسانه عن الاستهزاء بالناس ، وعن لمزهم (أي ذكر عيوبهم) وعن نبذهم بالقاب أي ذكر ما يسوؤهم من ألقاب .

المؤمن بالله ورسوله ، يعتنق مبدأ الصوم هذا ، فيجتنب كثيراً من الظن ، ولا يتجسس على غيره (أي لا يبحث عن خفايا أخباره وأموره) ولا يغتابه ، أي لا يذكر من ورائه عيوبه التي سترها ويسوؤه ذكرُها . فإذا اغتاب المؤمن غيره فقد فطِرَ ، وكسر الصوم الذي أُمِرَ به ..

وطعام فطوره ليس من النوع الشهي المباح ، بل من النوع المقزز ، المنفر ، المحرم تحريماً دائماً .

إن الذي يغتاب غيره يفطر على هذا النوع من الطعام ، إنه يفطر على لحم الميت ؛ وليس هذا اللحم لحم أي من الموتى ، بل هو لحم أخيه ؛ وإخوته ليسوا أولاد أمه وأبيه فحسب .

قال عز وجل « ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه » . (٤٩ ، ١٢) .

فلحم الميت محرم تحريماً دائماً ، ومغتاب غيره ، من خلق الله ، مفطر على هذا المحرم المكروه .

أما الصائمون الصوم الحق فيلتزمون مبادىء القرآن صياماً وصوماً ، ويتأدبون مع الله ورسوله ، ولا يغتابون بعضهم بعضاً ، بل يتناصحون ويتآخون ، كما يوضح البيان الصومي المربى في سورة الحجرات ، فيكون كلامهم : مع الناس ، وعلى الناس ، نافعاً للناس مرضياً لرب الناس ..

وهذا الملمح الصومي الثالث يحرك ملمحاً رابعاً ، فيتم صورة الصيام الحق ، وهو : الملمح التوحيدي . وتصوره سورة الأنعام .

فرسول الله ﷺ يبلغ مبادىء الله ، مفصلة . بينات من الهدى لقوم يعقلون ، ويلتزمون بما عقلوا ..

فإذا لم يلتزموا فهو بريء مما يصنعون ، إلى الله مرجعهم فينبئهم بما كانوا يفعلون ، وبما كانوا فيه يختلفون ..

« إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ، لست منهم في شيء » (٦ : ١٥٩) .

فليس محمد ﷺ في شيء من الذين فرقوا دينهم ، وأصبحوا فرقاً لا يجمعهم جامعة عامة .. لأن محمداً عليه الصلاة والسلام جاء بدين واحد لرب واحد ، جعل الخلق كلهم من نفس واحدة ..

فهل أنا ، المسلم ، بعد كل هذا .. صائم حقاً ..؟

وهل أنا صائم صياماً عن الطعام والشراب ، وذلك وجه الصيام السطحي القريب ؟

أم أنا صائم صوماً عن الكلام ، عبادة ، ونفعاً لخلق الله ، وذلك وجه الصوم العميق البعيد ..؟

أرجو الله — سبحانه — أن يجعلني ويجعل إخواني المسلمين والمؤمنين في العالم كله أقرب إلى رضاه وأقوى على التزام ما يجعلنا صائمين حقاً : لا نغتاب إنساننا ولا نفرق ديننا ..

د. أسعد علي

جاء في معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي : ٢ — ٦٠٢ في مادة (صوم) : أصله في اللغة الإمساك مطلقاً ، ثم استعمل في الشرع في الإمساك عن الطعام والشراب ، وقد جاء بمعنى الصمت في قول مريم : « إني نذرت للرحمن صوما » . وقيل : تعني الصيام ، لأن من شرطه في شريعتهم : الصمت . « التحرير » .